

يصرخ مستنجدا • وها هي تناوشه في الفراغ المحيط بالمدرسة • كان قد جاء دوره في الذهاب الى السوق ، وشمس الظهيرة تلهب صفحة الرمان • خطر له أن يغير اتجاهه فاستقبلته « رمال هائجة على متن ربح شاردة » (ص ١٣١) وعندما انتهى سور المدرسة وهم بالانعطاف تجاه السوق فوجيء بجرف عميق ، وبتل رملي عال كان عليه أن يتسلقه : « والمنازل القريبة غارقة في هجعتها ، ولا أحد من مخلوقاتنا يحدق في النوافذ نى غرباء الطريق » (ص ١٣٢) •

وكان في : « حصار » يدور في الحجرة ذاهلا ، تصدر عنه أصوات مبهمة • كان يوسعه أن يقاوم ما يخاليل عينيه ، لكنه أحس أن شيئا ما في الحجرة ينتهك ثيابه • والمقعد تحته يتململ رافضا جلوسه • يلتفت اليه فيجده يرمقه بنظرة غاضبة ، ويتحرك هاربا الى جوار الحائط • ثم تندفع قطع الأثاث القليلة لتتحلق حوله يحاول الهرب فتصطفق النافذة في وجهه كما يعانده مقبض الباب • الدولاب الصاج يزحف بثقله بتؤده كمن يوجه القطة الأخرى • المرأة الوحيدة المسندة على تل الكراسيات تحدق في وجهه • • • • • تلتقطه وتغلق بروازها عليه • وجهه من هذا ؟ نظر حوله باحثا عن أحد غيره • يطل من جديد في المرأة : « وجه غريب يحتل صفحة المرأة • • • • • بغير علمه ، يطوح بذراعه في الشبورة الرمادية ، والشبورة هائمة ناعمة مرحة بتقلها الشفاف ، تغلف حواف المرأة ، لكن عمق المرأة صاف ناعما يطبع الوجه الآخر • • • • • (ص ١٠) يهم أن يتوجه اليه ليخاطبه ، فتلتف المقاعد حوله في حركة بارعة تمنعه • يرفع رأسه نحو النافذة ضارعا » باحثا عن وجه الأفق ، والأفق غائم بالريح الرملية ، يخفى الحى عن عينيه » (ص ١٠٧) •

وفي : « محاكمة » لا يجد الوجه الآخر وحده في المرأة ، وانما وجهان آخرين ، أولهما وجهه • يلمح رأسه في المرأة كبراد شاي مقلوب يستعر في النار • وفي معصم الوجه الآخر تظهر ساعة صغيرة • هل هي مصدر تلك الدقات العالية ؟ • • • • • دقات متقافزة شبيهة بدقات الألم في رأسه ، يصيح ليبدد صخب الدقات ، تجف الصبيحة في حلقة ، يقطب جبينه المقطب من قبل » (ص ٧١١) يلتقط الفوطة ويمسح المرأة بعناية • شبح وجهه • هل هو وجهه هو ؟ • • • • • يحملق أكثر • • • • • يروعه ما في العينين من فجوتين غائرتين • • • • • ثم بقية • • • • • الوجه الشاحب • • • • • تذكره بوجه رآه في جهة ما • • • • • في حلم ما • • • • • في يوم ما • • • • • وكان يبكي بكاء مكتوما ، وبخاصة حين يختفى القمر ، ويتركه في الظلام ، تطارده أشباح ليل غامض ، ونهار دامس • • • • • وتجرحه هذه الأشباح من وجهه • • • • • تحول الى دمية • • • • • تتلاعب بها ، تجرها في ظلام قاتم ، ثم تصفعها لجراتها على